مشاريع الدعوة الى الله تعالى في رسالة نوح (ع) دراسة في الاساليب والخصائص

أ.م.د. عبد الإله نعمة الشبيب

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

Projects calling to God in the letter of Noah (p) Study in methods and characteristics

Ass. Prof. Dr. Abdul Elah Nemaa El Shabib

College of Fiqh\ University of Kufa

abdulelahn.shabeeb@uokufa.edu.iq

Abstract:

Projects of the call to God prophetic projects, intended to manufacture a good nation, but the nation if stood before the owner of the divine project and deprived of this opportunity by various means will bear the divine reward sooner or later, and Noah (p) carried this project for a long time did not respond to the nation despite The projects that came to the manufacture of the nation's finest, and the law of God in the robbery, as in the positive linked to the external reality implementation, and each nation is a book to be held accountable and reward and jurisprudence. The lesson given by the prophetic projects in this area is that some actions and positions bear the responsibility of the whole nation nation.

The research between your hands, my dear reader, presents to you through Surah Noh (p) a clear example in this field showing the reluctance of the vast majority of the nation to hear the voice of its prophet through several addresses that represented the projects of the adversary in rebellion, atonement, deception and destruction. In the other part stands before them projects correction, guidance and construction.

The result, as it is known in Sunnia, is that faith and its people are placed on the arena of life, even after a while, and the banner of the people of money, power, and power is vanquished by its people and its burning, and even drowned in the flood of truth that has charged the deluge of arrogant vanity, which it will also consume in every coming confrontation between the guidance and the misguidance. God can believe their religion, which is satisfied and replaces them after their fear of security and makes them imams and makes them heirs.

Keywords: call, message, Noah, methods, properties.

الملخص:

مشاريع الدعوة الى الله مشاريع نبوية، يقصد منها صناعة أُمة خيِّرة، ولكن الأمة اذا وقفت أمام صاحب المشروع الالهي وحرمته من هذه الفرصة بمختلف الوسائل سوف تتحمل المجازاة الالهية إن عاجلا أو اجلا، ونوح (ع) حمل هذا المشروع لفترة طويلة ولم تستجب له الأمة رغم المشاريع التي جاء بها لصناعة امة خيرة، والقانون الالهي في السلب مثلما هو في الايجاب مرتبط بواقعه الخارجي تنفيذا، ولكل امة كتاب يتم محاسبتها وجزاؤها وفقه. والعبرة التي تعطيها المشاريع النبوية في هذا المجال، هي أن بعض الاعمال والمواقف تتحمل مسئوليتها الامة كل الامة.

والبحث الذي بين يديك قارئي العزيز يقدم لك عبر سورة نوح (ع) أنموذجا واضحا في هذا المجال يبيِّن عزوف الغالبية العظمى من الأمة عن سماع صوت نبيّها عبر عدة عناوين كانت تمثل مشاريع الخصم في التمرد والتكفير والتضليل والهدم. وفي الشطر الآخر الواقف قبالها مشاريع التصحيح والهداية والبناء.

وكانت النتيجة مثلما هو معروف سنناً تربّع الإيمان وأهله على ساحة إدارة الحياة ولو بعد حين وانتكاس راية اهل المال والقوة والجبروت هي واهلها واحتراقها بل وغرقها في طوفان الحق الذي التهم طوفان الباطل المتغطرس هو واهله والذي سيلتهمه ايضا في كل

مواجهة قادمة تقوم بين الهدى والضلال الى ان يمكِّن الله المؤمنين دينهم الذي ارتضى ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، رسالة، نوح، أساليب، خصائص.

المقدمة:

لم يكن خلق الانسان على هذه البسيطة عبثا، ولم تكن الغاية من خلقه هو عبادة الواحد الاحد فحسب كما هو ظاهر قوله تعالى: ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون))(الذاريات /56)؛وانما كانت الغاية من خلق هذا الكائن الذي زينه الله تعالى بنعمة العقل وجعله – العقل– مناط التكليف، ان يرتقي به نحو الكمال فهو الغاية الكبرى؛ اذ تتزين ذات هذا المخلوق بمكارم الاخلاق وبالإيمان بالله الواحد الاحد.

وحيث ان الله تعالى تعبدنا بالعقل وهو سيد العقلاء فلا يمكن تحقيق تلك الغاية او معاقبة المنكرين والواقفين امامها الا بعد ايصال الانذار وتبليغ التبشير للناس، فمن القبح العقلي ان يكون هناك عقاب بلا بيان واصل. وقد تمثل هذ البيان بمشاريع الدعوة الالهية؛ اذ بلغت ما يقرب من مائة واربعة وعشرين الف مشروع على عدد من ارسل من الانبياء والرسل الى اممهم فكان كل نبي منهم يمثل مشروعا الاهيا يحمل بيان الانذار والتبشير للناس في محاولة لصناعة امة خيرة مطيعة لله تعالى ومطبقة لما جاء به رسله سبحانه؛ لغرض الارتقاء نحو السماء حيث العالم العلوي المتكامل.

الا ان المطلع على المشاريع النبوية يجدها لم تحقق المراد لها ولم تنجح بالمستوى المنشود الذي ينشده المقنن الاسلامي، بل وقفت الامم الجاهلة بحقيقة رب الكون وخالقه ازاء هذه المشاريع الالهية منكرة ومكذبة بما جاء به اصحاب تلك المشاريع التي تروم استنقاذ الامة وتطهيرها من الذائل وتزكية النفس.

ولم يكن هذا الانكار وهذا الوقوف العكسي للأمم ازاء مشاريع الانبياء، ليحد من عزيمة اصحاب المشروع الالهي، بل بذلوا قصارى جهدهم وضحوا بأموالهم وانفسهم اسقاطا للتكليف الملقى على عواتقهم (صلوات الله عليهم) واتماما للمهمة التي تشرفوا بها في هداية الناس، ولهذا كان الصراع طويلا ولمًا ينتهي، الا ان النتيجة المحتومة محسومة من قبل الله تعالى اذ قال عز من قائل: ((كتب الله على نفسه لأغلبنَّ انا ورسلي)) وهذا العهد المعهود من قبل الله تعالى يطمئن أنفس الانبياء والمؤمنين بانهم هم الغالبون، مهما اشتد محن المغرضين وقويت شوكة المعاندين للمشروع الالهي.

وهذا البحث الذي بين يدي القارئ الكريم والموسوم بـ (مشاريع الدعوة الى الله تعالى –دراسة في الاساليب والخصائص– رسالة نوح (ع) أنموذجاً) يقدم عبر رسالة النبي نوح (ع) أنموذجاً تطبيقيا واضحا في هذا المجال اذ يبين عزوف الغالبية العظمى من الامة عن سماع صوت نبيها عبر عدة عادات كانت تمثل مشاريعا للخصم في التمرد والتكفير والتضليل والهدم، في قبال مشاريع التصحيح والهداية والاصلاح وبناء المجتمع.

وقد اختطت هذه الدراسة لنفسها ان تكون من خمسة مباحث تسبقها المقدمة وتختمها النتائج، فالمصادر. ليتناول المبحث الاول المعنى اللغوي للإنذار الذي يشكل العمود الفقري وحجر الاساس للدعوة الالهية النبوية، فيما اوضح المبحث الثاني مميزات الاساليب الدعوية في رسالة نوح ليشكل ثلاث مميزات رئيسية تمثلت في الحوارات الطويلة اولا، والحوارات الاستدلالية ثانيا، والتدرج في تبليغ تعاليم السماء. وكان المبحث الثالث قسيما للمبحث الثاني اذ ابان اساليب المواجهة في اربعة منها. واما المبحث الرابع فقد ابان عناصر المشروع الديني والمتشكل من عنصرين مهمين هما: الايمان والاستغفار وهو منوط بقوم نوح (ع).

وجاء المبحث الخامس بما ختامه مسك اذ تركز الكلام فيه عن الفصل الاخير في مسيرة الالف عام الا خمسين سنة، التي لم تنته المسيرة فيه بل امتد من عصر النبي نوح الى يومنا هذا فهي تشكل بدائل لتجربة ورسالة ودعوة نوح (ع) في نجاة الامة وتخليصها من الرذائل وتحلية ذاتها بالفضائل. ثم كانت النتائج في آخر المطاف فقائمة المصادر.

واخيرا فاني احمد الله تعالى على ما وفقني اليه في هذه الاسهامة المعرفية في خدمة كتابه المجيد وتكملة هذا البحث الذي ارجو به نيل رضاه سبحانه، ورضا المطلع الكريم، فان كنت مقصرا فاني استغفر الله تعالى من ذنوبي التي جعلتني اقصر في هذا الجهد.

تمهيد – النظرية الدينية ووظيفة الرسل:

إن الأُمّة حينما تنحرف وتعيش حالة الابتعاد عن الله تكون قد وقفت على شفا حفرة من النار وتكون قد اوشكت على النهاية، ويكون مصيرها مهددا بالفناء والزوال وبتعبير آخر تلفظ أنفاسها، ولا يأخذ المجتمعات البشرية الى مثل هذا المصير الخطير الا الانحرافات العقائدية، ولهذا فان النظرية الدينية القائمة على حماية المجتمعات واخراجها من الظلمات الى النور لمّا يتهدد هذه المجتمعات مثل هذا الخطر وغيره كالاختلاف تنطلق بمشروعها وأول ما تنطلق به منه هو إطلاق صوت الانذار بأن خطرا ما قد اقترب وحاق بهذا الانسان، لأنه ليس من شيء بنظرها – في اول الامر– مهمّاً الا حماية وجود هذا الانسان من خطر هذا الانحراف والاعلان عن مشروعها في الحماية والوقاية والإفصاح عنه من خلال التحذير من الابتعاد عن عبادة الله والاقتراب من عبادة غيره والتنبيه حقيقة تكليفاً وتخييراً لا إجباراً من خلال الرسل على اغتنام الفرصة في ذلك وعدم تضييع الأجل المسمى بالمماطلة والمجادلة والإعراض عن النفع الذي يحصلون عليه إن اخذوا الانذار على وجه الجد والنصح والاختيار لا على وجه الإلجاء إذ لا نفع فيه.

هذه هي النقطة الأساسية الاولى في النظرية الدينية ووظيفة الرسل، قال تعالى: **(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.)**[1]

واما النقطة الاساسية الأخرى المقارنة لها في مشروع الدعوة الى الله تعالى فهي التبشير والتي ربما تقع الاولى[2] منطقيا في السُلَّم الترتيبي فيه، قال تعالى:**(كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشيراً وَنَذيراً فأعْرَضَ أكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)**[3] وقال تعالى: **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...)**[4]، ولأهمية هذين الأمرين في الدعوة الى الله راحت الشريعة تحكيهما من خلال القصص تارة والاجمال والاشارة تارة اخرى كما في ذكر قصة ضيف ابراهيم وما فيها من البشارة وقصة قوم لوط وما فيها من أنواع العذاب. وكما في الإشارة الاجمالية الى تعذيب اصحاب الايكة واصحاب الحجر. بل راحت تستثمر كل فرصة في رفع شعار إعلانهما واستثمار كافة الوسائل البناءة في خدمتهما وتجنب كل المحاذير والعوائق التي تقف في طريقهما بل وفي الاجتهاد في وضع ما يعرِّف بهما ويحميهما من فقه واخلاق ونظريات وفي الوصول الى النتائج المتوخاة من رسالتهما، وهذا هو كل ما سطَّره البحث في سطوره عبر عناوينه التي تأتي تباعا وفقا لما أشرنا اليه.

المبحث الاول

الانذار في كتب اللغة والتفسير:

إن السور التي تعرضت لقصة نوح عليه السلام من القرآن الكريم، هي ثمانية وعشرون سورة في ثلاثة وأربعين موضعا. وذكرت قصة نوح عليه السلام مفصلة في سبع سور منها: الأعراف ويونس وهود والمؤمنون والشعراء والقمر ونوح[5]. وكانت ابرز مهمة انيطت بعاتقه (ع) هي انذار قومه الذين مشوا في غيِّهم سادرين في طريق مخالفة الفطرة وطريق الشرك وعبادة الاوثان. وللتعرف على هذه المهمة الخطيرة في رسالته(ع) نتعرَّف عليها.

---

(1) نوح: 1-6.

(2) الرازي، تفسير الرازي: ج6 ص15 وفي الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) - لجعفر مرتضى العاملي- ج 3 - ص 78 – 79 نقلا عن جريدة جمهوري اسلامي الفارسية رقم / 254سنة 1359ه- ش للمطهري ويقول المحقق البحاثة المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من يريد إقناع إنسان ما بعمل ما، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، وبيان فوائد ذلك العمل. الثاني: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، وعواقب سيئة. ‹ صفحة 79 › ولذلك قيل: الانذار سائق، والتبشير قائد. والقرآن والاسلام يرى: أن الانسان يحتاج إلى هذين العنصرين معا، وليس - كغيره - يكفيه أحدهما. بل ويرى الاسلام: أنه لا بد وأن ترجح كفة التبشير على كفة الانذار. ولذلك قدم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنية.

(3) فصلت: 3-4.

(4) البقرة: 213

(5) سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى: ص 30

أولاً– في كتب اللغة والتفسير:

فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: "(نذر) النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تخوّف. منه الإنذار الإبلاغ ولا يكاد يكون إلا في التخويف. وتناذَرُوا خوَّف بعضهم بعضا... والنذير المنذر والجمع النُّذُر."[1]

والانذار كما جاء عن الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان هو: " التخويف بالإعلام بموضع المخافة ليتَّقي. ونوح عليه السلام قد انذر قومه بموضع المخافة وهي عبادة غير الله، وانتهاك محارمه، وأعلمهم وجوب طاعته وإخلاص عبادته.

وقوله **(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهِمْ عَذابٌ أَلِيمُ)** معناه اعلمهم وجوب عبادة الله وخوَّفهم خلافه من قبل أن ينزل عليهم العذاب المؤلم، فإنه إذا نزل بهم العذاب لم ينتفعوا بالإنذار ولا تنفعهم عبادة الله حينئذ، لأنهم يكونون مُلجَئين إلى ذلك(كفرعون الذي قال بعد فوات الفرصة آمنتُ بالذي آمنتْ به بَنُو اسرائيل حتى قيل له: الآن؟). وقال الحسن: أمَرَهُ بأن ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة".[2] وفي كتاب الفروق اللغوية جاء في معنى الانذار والفرق بينه وبين الإعلام وبينه وبين التخويف وبين الوصية ما يلي:

"الفرق بين الانذار والاعلام: الإنذار: إعلامٌ معه تخويفٌ، فكل منذر معلِم، وليس بالعكس. ويوصف القديم سبحانه بأنَّه منذر، لأنَّ الاعلام يجوز وصفه به، والتخويف أيضا كذلك لقوله تعالى: " **ذلِكَ يخوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادَهُ** " فإذا جاز وصفه بالمعنيين، جاز وصفه بما يشتمل عليهما، قاله الطبرسي.(اللغات).

الفرق بين الانذار والتخويف: أن الانذار تخويف مع إعلام موضع المخافة من قولك نذرت بالشيء إذا علمته فاستعددت له فإذا خوَّف الانسان غيره وأعلمه حال ما يخوِّفه به فقد أنذره، وإن لم يعلمه ذلك لم يقل أنذره، والنذر ما يجعله الانسان على نفسه إذا سلم مما يخافه، والانذار إحسان من المنذر، وكلما كانت المخافة أشد كانت النعمة بالإنذار أعظم ولهذا كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أعظم الناس منة بإنذاره لهم عقاب الله تعالى.

الفرق بين الانذار والوصية: إن الإنذار لا يكون إلا منك لغيرك وتكون الوصية منك لنفسك ولغيرك تقول أوصيت نفسي كما تقول أوصيت غيري ولا تقول أنذرت نفسي، والإنذار لا يكون إلا بالزجر عن القبيح وما يعتقد المُنذِر قبحه. والوصية تكون بالحسن والقبيح لأنه يجوز أن يوصي الرجل الرجلَ بفعل القبيح كما يوصي بفعل الحسن ولا يجوز أن ينذره إلا فيما هو قبيح، وقيل النذارة نقيضة البشارة وليست الوصية نقيضة البشارة." [3]

والانذار الذي جاءت به دعوات الانبياء (عليهم السلام) الذين ارسلوا من اجل انقاذ المجتمعات من دياجير الظلم ومن اجل الدعوة الى حياة انسانية هانئة سعيدة يحتاج العمل به –بالإضافة الى قرينه أي التبشير– إلى الإخلاص والتفرغ وعدم الانشغال بالعيال والمال والقضايا الشخصية، والى النصيحة كلَّ النصيحة.

والذي يشير الى الامور الاخيرة أي التفرغ وعدم الانشغال بغير الدعوة الى الله والنصيحة في مقام البحث هو قوله تعالى: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)** والتي نقرأ فيها أيضا الجدّ والمثابرة والدوام والسهر على حمل الرسالة والدعوة اليها. ومعلوم ان كثرة الإنذار من خلال الدعوة يُعَدّ من النصيحة بمكان، قال النابغة يخاطب عمرو بن هند الملك:

مَنْ مُبْلِغٌ عمرو بن هندٍ آيةً **** وَمِنَ النَّصيحَةِ كَثْرَةُ الإنْذَارِ[4]

ثانيا– الانذار عند المفسرين:

الآيات الست الاولى من سورة نوح اخبرت أنَّ الإنذار كان بلغة بيِّنة لا يخالطها لبس ولا غموض، وهو أمر مهم في الإعلام، إذ يشترط في الاعلام الناجح والمفيد أن يكون واضحا ومفهوما – لغةً وشخصاً وهدفاً – لدى جميع المخاطبين سيما في الانذار خاصة

(1) زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج 5 - ص 414
(2) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج 10 - ص 132
(3) ابن هلال العسكري، الفروق اللغوية: ص 78 – 79
(4) الجوهري، الصحاح: ج 4 – ص1337، عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة من أعدائه وهم قوم النابغة. أخبره بأنهم نزلوا بعكاظ وهم كثيرون ينتظرون وقوع الربيع فيرعونه ويحاربونه. خزانة الأدب - البغدادي - ج 6 - ص 291

بلحاظ ان منصب الانذار من اعلى المناصب، وأرفعها شأنا، فكيف يجوز أن يهمله ويجعله منوطا بمن يتلاعب به ومن يوصله إلى غير مستحقه.[1]

ويشترط فيه أيضا – لاسيَّما في مثل منصّات المصير الخطيرة ومنابره المؤدلجة التي تستهدف الذهنية العامة التي يصاغ غالبا من مجمل إدراكاتها الموقف العام – ان تُفتح فيه الى جنب الإنذار هوامش مهمة في التلقي كهامش الجذب والامتاع، وهامش الأمل والأجل المسمّى (الاقصى)، وهامش التبشير بالحياة الجديدة البعيدة عن ملامح الماضي السيء الذي تثقل تبعاته الحياة الفعلية ويرعبها شبحه، أي لابد بعد الإنذار بالخطر وتشخيصه من تهيئة ما يسمى اليوم بالإسعاف والطبيب وكل ما له دخل في الوقاية والانقاذ.

وبتعبير آخر لا بد من الاشارة الى هامش يحفظ الحياة التي تهددها السنن التاريخية المخيفة، وهامش طاعة المصلحين الذين تُحفظ الحياة بطاعتهم؛ إذ ما لم تتقدَّم الى قيادة هذا الانسان– في مثل هكذا ظروف خاصة – شخصية واثقة ومؤمنة بالخلاص والاصلاح فإنَّ أشرعة سفينة هذا الانسان سوف تتمزق وتغرق ولات حين نجاة، ولن تقود هذه السفينة راكبَها إلاّ الى لُجَج بحر الأجل الأدنى وأمواجه المهلكة.

وهذه حقيقة تاريخية وسنة كونية – من أي مقام صدرت أو تصدر – ولا ولن تتغير ما لم يتغير الانسان. ولا بد ان تقع وإن طال الأمد بها، ولا يؤجِّل وقوعَها كثرةُ الدعاء الى نقيضها ما لم تكن هناك ترجمة عملية لهذا الدعاء.

وهذه السنن التاريخية مرّة تحصل بعد ان ينتهي صوت الدعوة الى الله تعالى الى كل بيت بيت وكل فرد فرد على نحو الاستيفاء التام ولم تحصل الاستجابة له إما لجهل المتلقي الغالب جهله على نفسه فيما لو سدَّ عليها كل طرق الفهم والوعي والادراك أي السمع والبصر والفؤاد.

ودعوة نوح (ع) كنموذج في تاريخ الدعوات الاصلاحية كانت مع هذا القبيل من الناس؛ لأنه (ع) كان كلّما يدعوهم لم يزدادوا الا فرارا عن قبول دعوته وفرارا عن الاستماع اليه بل ذكر سبب دعائه لهم لتقبيح فعل الفرار خاصة بعد ذكر المسبب لهذا الدعاء[2] وهو **(لِتَغْفِرَ لَهُمْ)** بل جعلوا دعائه لأجل صالحهم العام سببا في اعراضهم وفرارهم عنه **(فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)** ولأن الناس أعداء ما جهلوا. أو لعدم تناغم دعائه مع ما يرومون اليه من البقاء على الفساد والفوضى والتمسك بالقديم إذ هناك من نقعَ في قلبه حبٌّ يغوث وهناك من ذاب في حبِّ سواع وهناك من ذاب في حبِّ يعوق أو في حبِّ نسر او في حبِّ وَدّ، ومع تفرق المجتمع الى ولاءات والى عواطف ومعتقدات يصعب والحالة هذه الاستجابة الى صوت الحق، أو لأن دعوة نوح – بتعبير آخر – ما كانت بنظرهم تلبّي مصالحهم وتنسجم مع أعرافهم وأهوائهم.

أو لأنّ هذه الدعوة كان يقف بوجهها أعداء كثيرون وفي جميع اصعدة العداوة يصدّون عنها ويمنعون منها. ولهذا ما كانت تزيدهم الا فرارا وابتعادا فمع كل دعوة ومع كل نداء وبيان ومع كل حوار ومع كل مطالبة ومناقشة وجدال ومخاصمة ومناظرة ومطارحة ومكالمة ومفاهمة كانت هناك زيادة في الرفض وزيادة في الابتعاد عن نوح وعن رسالته.

المبحث الثاني

مميزات الأساليب الدعوية في رسالة نوح (ع):

الميزة الاولى– الحوارات المطولة:

إنّ الحوار والجدل الدعوي الذي مارسه نوح (ع) مع قومه هو من الحوارات الطويلة المدى والكثيرة أوّلاً فقد طال الى أمدٍ بلغ ألفاً إلاّ خمسين عاماً. وإن هذا الحوار والجدل كان يتجدد ويتعاقب بتجدَّد وتعاقب الليل والنهار **(رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)**، وكما قال عنه خصمه **(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)**[3]، ولم يكِلّ نوح (ع) ولم يملّ بل كان من اصحاب العزم' وفيه وفي رفاقه من أولي العزم نزل قوله تعالى: **(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)** قال

(1) راجع: الحلي، كتاب الألفين: ص 58
(2) راجع: الطبرسي، تفسير جوامع الجامع: ج3 ص643
(3) هود: 32

الزمخشري في الكشاف نقله تاج العروس: "هم أولو الجِدّ والثبات والصبر. والعزم في لغة هذيل بمعنى الصبر، يقولون: مالي عنك عزم، أي صبر[1]، بل كان يتحرَّك بين ظهراني وأوساط قومه بروح مُشفقة عليهم مما ينتظرهم من مصير خطير، وبطريقة كانت تتحرّى كل وسائل بيان ما يُخاف عليهم منه، ويتحرى كل وسائل الجذب والاستجابة لدعوته.

وكان يمارسها تارة بطريقة سريّة بعيدة عن التجمعات العامّة وفي الخفاء بل مع كل رجل رجل كما يستفاد ذلك من نقل لرأي ابن عباس في معنى الاسرار، قال الشيخ الطوسي في تبيانه: " السرّ إخفاء المعنى في القلب، وأسرَّ إليه إسرارا أي ألقى إليه ما يخفيه في قلبه، وسارَّه مسارّة وسرارا: إذا اخفى ما يلقيه إليه من السرّ عن غيره"[2] وهو نقيض الإعلان. وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **(وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)**: "يريد أُكلِّم الرجل بعد الرجل في السِّر وأدعوه الى توحيدك وعبادتك"[3].

ويمارسها تارة اخرى بطريقة علنية وتحت ضوء الشمس عِياناً، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: **(حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً)** اي عيانا[4]، وجاء في معنى الجمع بين كيفية الجهر والاسرار عن العارف الشاه آبادي في بيان قوله تعالى: **(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا.)** إشارة إلى أن الجهر والإسرار من كيفية الدعوة، فيكون دعوته جهرا وصراحة إلى التنزيه المطلق، وسرا وفي الحجاب إلى التشبيه المطلق. والعطف بـ(ثم) لدلالة أن الدعوة الإسرارية إلى التشبيه منضمة في الدعوة الجهرية إلى التنزيه.

ولعل قوله: (دعوت قومي ليلا ونهارا). حكاية عن الدعوة الجهرية والإسرارية، وتقديم الليل على النهار، لعله للإشارة إلى عدم احتجاب نفسه، عليه السلام، عن الكثرة في عين الوحدة وعن الوحدة في عين الكثرة".[5]

أقول: هذه اللقاءات السرية والعلنية حوارات دعوة تريد الخير كل الخير المتمثل بالمغفرة **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ...)**، وكل التبليغ برسالاته تعالى والنصح للطرف الآخر المتمثل بقوله تعالى: **(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[6] وتؤكد تحقيق أروع التطلعات – من خلال ما تدعوا اليه من عبادة الله والتقوى وطاعته (ع) فيما يبلغ وفيما يتمنى لهم من المغفرة والحياة الجديدة والرغيدة، وفي ان يكون كل واحد منهم انسانا ناصع المسيرة، وان يكون ذا عمر مديد مع حياة طيبة رخيَّة يحوطها الأمل فيما لو استجابوا له واطاعوه، وانتهوا معه الى القبول من الله والنجاة من عذابه والحظوة بثوابه، قال تعالى: **(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.)**[7] وفي ان ينتهوا معه الى الشروع بمشروعه الدعوي الإصلاحي عبر مقولة الاستغفار العملية التي وضَّح الإمام علي(ع) خطواتها بقوله لما قال قائل بحضرته أستغفر الله قال: "ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم على ستة معان أي يشترط في صحته أشياء: أولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله وليس عليك تبعة، الرابع أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله"[8].

ومثل هذا المضمون ورد عنه (عليه السلام) في الكشاف وتفسير الرازي بلفظ آخر انه "سئل علي امير المؤمنين عن التوبة، قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كلِّ ضحك ضحكته "[9][10].

(1)الزبيدي، تاج العروس: ج17 ص477
(2)الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج7 ص472
(3)البغوي، تفسير البغوي: ج4 ص398
(4) البقرة: 55، راجع: الطوسي، التبيان: ج3 ص377
(5)قيصري رومي، محمد داوود، شرح فصوص الحكم: هامش ص 517
(6) الاعراف: 62
(7) نوح: 3-5
(8) راجع نهج البلاغة الرقم 417 من الحكم
(9) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل:ج3 ص469
(10) المحقق الاردبيلي، زبدة البيان: ص74

ومنهما يفهم الشرائط المذكورة لقبول التوبة في الكتب على ما نقل من العامة والخاصة، وهو أنه إن كان عن حق الله يكفي ثلاثة أشياء: القلع عن فعل المعصية، والندم، والعزم على عدم العود، وإن كان عن حقوق الناس يزيد عليها رابعا هو رد الظلامة على صاحبها وطلب عفوه والابراء منها، والظاهر أنه لا بد من هذه الأربعة، وأما غيرها التي يفهم من كلامه صلوات الله عليه، فكأنه شروط للكاملين. ثم إن ظاهر هذه الآية وسائر الآيات وجوب قبول التوبة على الله بمعنى سقوط العقاب عن الذنب الذي تاب العبد عنه لأنه وعد القبول " إن الله يقبل التوبة "إن الله يحب التوابين " وقد ورد هذا المضمون أي قبول التوبة وتكفير السيئات كثيرا في القرآن، وأكثر منه في الأخبار. ومن تلك الروايات والاخبار ما اشتهر بين العامة والخاصة "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"، وان توبته مقبولة إلى أن يعاين الموت، ويدل حكاية فرعون في القرآن على ذلك، وقد نقل في مجمع البيان الإجماع على ذلك في موضعين[1].

أقول: ان كلمة امير المؤمنين علي (ع) ورد فيها ان الاستغفار اسم يقع على ستة معان أي انه بلغة العصر مشروع اصلاحي يقوم على ست خطوات ويرتقي بالأمة أو الفرد الى درجات الرقي والسعادة التي عبر عنها الامام (ع) بدرجة العليين، تتقاسم هذه الخطوات عملية اصلاح أمر الفرد أو المجتمع مع الله اولا من خلال الندم وترك العود الى الفعل السيء ثانيا وقضاء الفرائض الفائتة ثالثا، واصلاح أمره مع الناس ثانيا من خلال الخطوتين الرابعة والخامسة اللتين يعبران عن المجاهدة والتهذيب والبناء الجديد في أن يعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فيذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد وسادسا في أن يذيق الجسم ألم الطاعة كما أذاقه حلاوة المعصية.

وقد مثَّل اصحاب الكتب الاخلاقية لهذه الخطوات الست بأمثلة وبيانات وفصَّلوا الحديث فيها كثيرا فقد ورد عن أبي حامد في ذلك قوله: " كما لا يكفي في جلاء المرآة قطع الأنفاس والأبخرة المُسَوِّدة عنها بل لا بد من تصقيلها وإزالة ما حصل في جرمها من السواد كذلك لا يكفي في جلاء القلب من ظلمات المعاصي وكدوراتها مجرد تركها وعدم العود إليها بل يجب محو آثار تلك الظلمات بأنوار الطاعات ويغسل ثيابه التي أذنب فيها من الكبائر أو الصغائر من الذنوب والمستند ما رواه المحمدون الثلاثة عن أبي عبد الله (ع) أنه جاء إليه رجل وقال: إن لي جيرانا ولهم جَوارٍ يتغنَين ويضربْن بالعود فربَّما دخلتُ المخرج فأطيل الجلوس استماعا منّي لهنَّ فقال (ع): لا تفعل. فقال: والله ما هو شيء آتيه برجلي إنما هو سماع أسمعه بأذني فقال الصادق (ع): تالله أنت أما سمعت الله يقول إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فقال الرجل كأني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله عز وجل من عربي ولا عجمي لا جرم إني قد تركتها فإني أستغفر الله تعالى، فقال له الصادق (ع):قم فاغتسل وصلِّ ما بدا لك فلقد كنت مقيما على أمر عظيم ما كان أسوء حالك لو متَّ على ذلك استغفر الله واسأله التوبة عن كل ما يكره فإنه لا يكره إلا القبيح والقبيح دعْه لأهله فإنَّ لكلٍّ أهلاً." [2]

الميزة الثانية–الحوارات الاستدلالية:

ولم تقتصر دعوة نوح (ع) على أساليب النصح والتبليغ والبيان بل تعدَّت هذه الاساليب الى أساليب الاستدلال وتحريك العقل والفكر فكانت لها حوارات استدلال وتعقّل عناية بما تعطيه هذه الحوارات من واقعية في اثبات وحدانية الله ودفعا لما يتمسك به البعض من أهل الكيد والمكر والفجور من حوارات تعجيزية أو مغالبة ومماطلة ومجادلة بالباطل وتعنّت واقتراح ومراء لا من اجل طلب الحجة والدليل، وحوارات تضليل وتمزيق وحوارات من اجل ابقاء الفجور والكفر والتفريق.

وقد جاء بهذا الصدد الاستدلالي ومعطياته قوله تعالى: **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا. وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا.)**[3].

(5) أنظر: الطبرسي، مجمع البيان: ج3ص43

(2) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج1 ص80، المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد:ج1 ق1 ص8، قال المحقق بعد نقل الرواية وهذه مرسلة وهي متناولة لصورة معينة فلا يتناول غيرها والعمدة فتوى الأصحاب مضافا إلى أن الغسل جبر فيكون مرادا ولأنه تفال الغسل الذنب والخروج من دنسه.

(3) نوح: 13- 20

الميزة الثالثة–التدرج في التبليغ:

ولا ننسى ان هذه الاساليب كانت تجري وفق منهج التدرج من الأسهل الى الأصعب، يقول الشيخ الطبرسي: "ابتدأ نوح (عليه السلام) في دعوتهم بالأهون وترقى إلى الأشدّ، وذلك أنه ناصحهم في السر (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا.) فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلما لم يؤثّر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان. ومعنى (ثم) الدلالة على تباعد الأحوال، فإن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما."[1]

أقول: انه ثنّى بالمجاهرة بعد ان جرَّب الخفاء اي دون ان يشعر الآخرون بأن تقتصر الدعوة على الآحاد او على القلة وهو امر مستنبط لمن يقرأ قوله تعالى: **(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا)** وما تدل عليه (ثم) من مهلة سابقة عليها.

وقد ذكر اهل المعاني والبيان نكتة تخص المقام في التكرير إذ البحث امام النكتة المستبطنة في تكرير لفظة إني دعوت، وإني دعوتهم ولفظة (ثم) يقول الشيخ احمد أمين: الشيرازي: "التكرير وهو لنكتة كتأكيد الإنذار في **(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)**، وفي "ثم" دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ من الأول تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان.

وعودا على ما أفاده الشيخ الطبرسي في تأكيد منهج التدرج في الدعوة الى الله تعالى نجد ان التصعيد الذي أشار اليه محفوظ هنا في اسلوب الخطاب الذي تدرَّج هو الآخر من البليغ الى الأبلغ[2].

المبحث الثالث

أساليب وخصائص المواجهة في طرف الخصم:

ان آيات سورة نوح مثلا مثلما تذكر أساليب وخصائص الحوار المتمثل بالطرف الاول طرف النبي (عليه السلام) تذكر اساليب وخصائص المواجهة المتمثلة بطرف خصوم الرسالة والرسول والمرسل من قبيل الفرار من سماع صوت الرسالة والذي عُبِّر عنه بأكثر من أسلوب. فمن اسلوب التغطي بالثياب حتى لا يروه الى اسلوب وضع الأصابع في الآذان حتى لا يسمعوه الى اسلوب الإصرار وهو المداومة على الكفر وعلى عدم قبول نبوته وقبول دعوته وعدم الاستغفار ولو لمرة واحدة لأنَّه ما أصرَّ من استغفر[3]، الى اسلوب الاستكبار المتمثّل في " رفع النفس فوق مقدارها، وطلب الترفّع وترك الاذعان للحق، ومنه قوله: **(وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)**[4] أي اخذتهم العزة من اتباعه[5] وتَكبَّروا عن الإيمان [6] تكبرا مؤكدا، والدال على التأكيد وفرط استكبارهم وعتوهم ورود المصدر بعد الفعل[7]، هذا الى استثقال وجوده في اوساطهم واستثقال تذكيره بآيات الله وتحذيراته بعقاب الله، قال تعالى: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)** [8].

بل أدخلوا عملية الحوار عاملي المال والأتباع لينتصروا بهما لا بالدليل والبينات التي سلكها النبي، وادخلوا لذلك ايضا عامل الرؤساء والسلطة[9] من خلال ما لرجالها من المكر في إضلال الناس ومنعهم من الاستجابة له والايمان به اللذين توفّرهما لهم القدرات والكفاءات المتخصصة بذلك وهو نحو من المكر الكبّار[10] أي الاكبر من المتوقع في أساليب المكر والكيد إذ لم يقصد هؤلاء في واحد من مكرهم الكبّار إبقاء الناس على آلهتهم بالذات وانما كانوا يقصدون إبقاءهم على حالة من الجهل والعمى الذي لا ينفتح على الحق

(1) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع - ج 3 - ص 643
(2) انظر: الشيرازي، أحمد أمين، البليغ في المعاني والبيان والبديع: ص 169 – 170
(3) الكافي / ج1 ص22-23 كتاب العقل والجهل
(4) نوح: 7-14
(5) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع:ج3 ص642
(6) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: ج2 ص99
(7) انظر: الطبرسي، تفسير جوامع الجامع:ج3 ص642
(8) يونس: 71
(33) تفسير جوامع الجامع:ج3 ص646 وانظر ابو الليث السمرقندي في تفسيره: ج3 ص478
(10) نفس المصدر:ج3 ص646

والإيمان **(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا. وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)** [1] واعتمدوا كذلك التكذيب وما يرافقه من اتهامات معبِّرة عنه ولكل خطاب يتوجه اليهم من قبله (ع)، قال تعالى ناسبا ذلك الى الملأ وهم المتميزون والمقربون من السلطة وموجها الجواب من نوح الى الناس لا اليهم لان الناس هم المقصودون بالإضلال أو الهداية من كلا الطرفين: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**[2]

وقال تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ.)[3] بل واستعملوا بالإضافة الى التكذيب المكر في إثارة وتحفيز الأنا العمياء التي لا ترى لغيرها فضلا عليها فضلا عما لو صُوِّر هذا الغير بالشخص المجنون الذي لا تطول حياته لو أُهمل، قال تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ. فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ. إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ. قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)**[4] بل استعملوا كل محاولات التضليل والابقاء على الفجور والكفر والتمسك بالآلهة المضلّة المفرّقة' قال تعالى: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)**[5] وقال تعالى حكاية عن مقالهم وحالهم: **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)**[6].

إن مثل هذه الثقافة في الحوار التي يدعو بها الطرف الآخر ويروِّج لها وينافح ويكافح من خلالها ويُصِرُّ عليها هي ثقافة الوقوف عند نقطة الصفر التي ينتهي الأمل في تغييرها الى اليأس، فثقافة الطرف الآخر الواقف قبال النبي يكون الفرد بنظرها محترما ومقرَّبا ومهابا ما دام ينشر ثقافة التضليل والفجور والتفرقة والكفر ويدعو لفقه التحجر والانا والغباء اما حينما يصمم هذا الفرد في أجواء ثقافة وفقه غير ثقافتها وفقهها مهما كان هذا الغير فان مثل هكذا ثقافة وفقه ومثل هكذا نماذج بشرية تحملها أو تحترمها لا تستحق الرحمة ولا تستحق الحياة، ومن هنا قال نوح مخاطبا ربَّه عزَّ وجلَّ: **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا. رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.)**[7] وهكذا الامر بالنسبة للطرف الآخر ومن مجموع الثقافتين المتصارعتين نستنتج ان لا اقتراب بينهما.

أبرز خصائص خصوم الرسالة:

لا شك في ان ابرز خصائص خصوم الرسالة هو الجهل وسعة رقعته ومما يدل على ذلك:

أولا– ما ورد فيه قبل قليل من قوله تعالى **(وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)** بان الذين آمنوا بي هم خير منكم لإيمانهم بربهم وكفركم به أو تجهلون خلوص المؤمنين لي لا كما تظنون بهم من انهم اتبعوني طمعا بالمال إذ لو كانوا كذلك فان الله يجازيهم على بواطنهم وليس لي الا الظاهر احملهم عليه وانتم تجهلون ذلك"[8] وقوله تعالى: **(فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ)**[9]. يقول الشيخ الطوسي في تفسيرها: وقوله "إنهم كانوا قوماً عمين" أغرقهم وأهلكهم، لأنهم كانوا عمين. والعمى الضلال عن طريق الهدى، فهم كالعُمي في أنهم لا يبصرون طريق الرشد، فهم عمي عن الحق"[10] أي انهم استحبوا الجهل على العلم والضلال على الهدى.

(1) نوح: 21-22
(2) الاعراف: 59-61
(3) الاعراف: 64
(4) المؤمنون: 23-26
(5) نوح: 27
(6) نوح: 23
(7) نوح: 26-28
(8) انظر: الطوسي، التبيان: ج5 ص475
(9) الأعراف: 64
(10) نفس المصدر: ج 4 - ص440

ثانيا – ويدل على جهلهم كذلك رغبة الملأ في بقاء هذه المساحة على هذا المستوى الهابط من الوعي بقولهم للرعية المحكومة من قبلهم **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)**[1] لأنه من المعلوم ان السلاطين ومن حولهم لا يرون قيمة حضارية لآلهة رعيتهم وهم يعتقدون دائما بألوهية انفسهم إن كانوا هم السلاطين وألوهية أولياء نعمتهم إن كانوا ملئهم وما هذه النواهي التي توجه للرعية من قبلهم في الحفاظ بآلهتها والتزام عبادتهم الا من اجل ابقائهم على مستوى الجهل الذي يصب في صالحهم إذ صالح الحاكم الطاغية والمقربين لديه يرتكز دائما على تجهيل الرعية والمواطنين الاصليين لا على تنويرهم. أما ترى ان من مكرهم هو التعمية عليهم لكي يضلوا طريق الحق والصواب قال تعالى في بيان هذا المنهج الآثم:**(فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)** اي فخفيت عليكم الحجة التي يحتج بها على النبوة وفضل النبي بها عليكم أو عميتم عنها من قبل الغير لكي تبقوا حائرين لا تعرفونها ولا تقفون على الطريق المؤدي اليها. يقول الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: **(فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ)**: "وقوله "فعميت" يحتمل أمرين: أحدهما – خفيت عليكم، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي إليها. والاخر – أن يكون المعنى عميتم عنها، وأضاف العمى إلى البيِّنة لما عَمُوا عنها لضرب من المجاز، لان المعنى ظاهر في ذلك، كما يقال: أدخلت الخاتم في يدي والقلنسوة في رأسي، والمراد أدخلت يدي في الخاتم ورأسي في القلنسوة. ومن قرأ بتشديد الميم وضم العين أضاف التعمية إلى غيرهم ممن صدَّهم عن النظر فيها وأغواهم في ذلك من الشياطين والمضلين عن الحق"[2].

ثالثا – ومن أجهل ممن يعبد الحجر والخشب وكل ما لا ينفع ولا يضر؟

رابعا – ويمكن الاستدلال على جهل القوم بفرارهم حال دعوتهم الى عبادة الله وترك عبادة غيره وفرارهم من ذلك، وهو استدلال بالمعلول على العلة، والعلة هي جهلهم بوجود هكذا دعوة والناس أعداء ما جهلوا الأمر الذي يدعوهم الى الفرار منها ولتقريب ذلك بشكل أوضح نفتح الحديث قليلا مع سبب نزول الآيات الأولى من سورة (ص).

قال تعالى: **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ. كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ.)**[3] يقول الشيخ مكارم الشيرازي في أسباب نزول هذه الآيات: "وردت في كتب التفسير والحديث أسباب متشابهة لنزول الآيات الأولى من هذه السورة، وسنستعرض أحد هذه الأسباب لكونه مفصلا وجامعا أكثر من الأسباب الأخرى، ففي حديث نقله المرحوم العلامة الكليني عن الإمام الباقر (عليه السلام) جاء فيه: "أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومرْهُ فليكفَّ عن آلهتنا ونكفَّ عن إلهه. فبعث أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعاه، فلما دخل النبي لم ير في البيت إلا مشركا فقال: (السلام على من اتبع الهدى) ثم جلس فخبَّره أبو طالب بما جاؤوا به، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أَو هل لهم في كلمة خير لهم من هذا يسودون بها العرب ويطأون أعناقهم"؟ فقال أبو جهل: نعم وما هذه الكلمة؟ قال: "تقولون: لا إله إلا الله". وما أن سمعوا هذه الكلمات حتى وضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا وهم يقولون: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق، فأنزل الله في قولهم: ص والقرآن ذي الذكر – إلى قوله – إلا اختلاق"[4].

ومن سبب النزول هذا نفهم ان المشركين عبدة غير الله ما ان يسمعوا بدين التوحيد لا يملكون من انفسهم الا أن يضعوا اصابعهم في آذانهم ويخرجوا فارين من هذه الدعوة لا لشيء سوى انهم يجهلون وقوعها وصدورها بين بني البشر واستدلالهم على ذلك انها لم تسمع من آبائهم وأجدادهم وهو دليل خطأ لأن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

خامسا: ومن اجهل أيضا ممن يسد منافذ الوعي والادراك لديه؟ قال تعالى: **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا.)** وقال تعالى: **(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا**

(1) نوح: 23
(2) الطوسي، التبيان:ج 5 - ص 473
(3) ص: الآيات 1-3
(4) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج 14 - ص 446 – 447

وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)[1]، وليس وراء السمع والبصر والقلب من مَنفَذ للإدراك والوعي غيرها. وبناء على ما تقدم فانَّ مثل هكذا صنفين متحاورين سوف لن ينتهيا الى نتيجة تُرضي الطرفين ولن ينتهيا الى توافق ولا الى مشاركة ولا الى ائتلاف او تحالف نعم سوف ينكفأ كل فريق الى تأكيد قناعاته وليس من نصر وتفوق الا للقناعة الحقة ولا من هزيمة وهلاك وتبار ونهاية مرعبة وعِبرة ثاوية الا وهي نصيب القناعة الباطلة التي آمنت بالكفر رسالة في الحياة أو التي وقفت خلفها اجندة الكفر تحركها كيف شاءت ومتى شاءت وان كانت في بعض الأحيان في ظاهرها متلبسة بالدين ومنسوبة الى دين الله عز وجل فتنة. وهكذا كانت قضية الصراع بين الهدى والضلال في البقاء والنصر والحسم، وهكذا تكون اليوم وغدا، قال تعالى: **(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ.)**[2]وقال تعالى:

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ.)[3].

المبحث الرابع

عناصر مشروع الحل الديني:

إن المشروع الديني مشروع مركب من عنصرين أو من شقين احدهما يكمل الآخر شق للإيمان وشق للاستغفار وقد مر هذا المشروع بشقيه بمرحلتين زمنيتين.

الشق الاول– الايمان:

قال مقاتل: "إن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فرجعوا فيه إلى نوح، فقال نوح: استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح عليكم أبواب نعمه. واعلم أن الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات، ويدل عليه وجوه أحدها: أن الكفر سبب لخراب العالم على ما قال في كفر النصارى: **(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)**[4]، فلما كان الكفر سببا لخراب العالم، وجب أن يكون الإيمان سببا لعمارة العالم، وثانيها: الآيات منها هذه الآية ومنها قوله: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[5] **(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)**[6] **(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا)**[7] **(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)**.[8]

ويمثل الشقان مشروع نجاة الانسان وخلاصه في الوسط المتخلف عقائديا والمتأزم اقتصاديا واجتماعيا وكلاهما من مشاريع الوحي في حل مشاكل الحياة الانسانية، بل وفيهما القدرة على معالجة المشاكل العضال واجتثاثها، وقد طرح الوحي السماوي مشروعه في الحل هذا مع قوم نوح كما قلنا قبل قليل في مفصلين تاريخيين طرحه في أول خطوة من خطوات المسيرة الدعوية وطرحه مرة اخرى

(1) فصلت / 5
(2) الصافات: 75-82
(3) الانعام: 84-90
(4) مريم: 90 - 91
(5) الأعراف: 96
(6) المائدة: 66
(7) الجن: 16
(8) الطلاق: 2 -3

ما ان بدأت تلحّ على الناس ضروريات تمثَّلت بالحاجة الى المال والاولاد والحياة الهادئة الرغيدة المستقرة على ما تحكيه أقوال الرواة والمفسرين.

وكان المشروع يمثل فرصة من فرص انفتاح اللطف الإلهي مرة اخرى على هذا الانسان في تلبية حاجاته، وفي المفصل الاول قال تعالى: **(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.)**[1].

وفي المفصل الثاني قال تعالى: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا.)**[2] وجاء على هذا المعنى: **(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ)**[3] وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)**[4]وقال تعالى: **(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)**[5]، وقال تعالى في التنبيه على اصعدة قدرته عز وجل التي لا يقف امامها شيء لعل القوم يقصدوا الحق ويتفاعلوا معه: **(أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ.)**[6] وقال تعالى لخلق جو فكري وعقلي جديد تتحرك فيه لغة النذارة التي تستبطن في عمقها معاني إحسانه العظيم، جاء في الفروق اللغوية في الإشارة الى ما ذكرناه: "والانذار إحسان من المنذر، وكلما كانت المخافة أشدّ كانت النعمة بالإنذار أعظم ولهذا كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أعظم الناس منَّة بإنذاره لهم عقاب الله تعالى."[7]

أقول: وهو أي الأنذار إحسان مادام يحمل بين يديه البشارة بحلٍّ اكيد ومخرج لا شك فيه من تلك الأزمات وتطلع قوي من تطلعات الانسان الدنيوية تتمثل بقضية الاستغفار الشرطية" **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)** أي: اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم **(إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)** لطالبي المغفرة. **(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا).**

قيل: إنهم لما طال إصرارهم على الكفر والتكذيب بعد تكرير دعوتهم، حبس الله عنهم القطر فقحطوا حتى هلكت أموالهم وأولادهم، فلذلك وعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه[8].

وروي عن الحسن: أن رجلا شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له الآية[9].

وفي زبدة البيان سئل عن ذلك فقال ما أمرتهم من نفسي بل من القرآن العزيز، قاله في الكشاف ومجمع البيان[10].

وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال سأل رجل أبا جعفر عليه السلام وأنا عنده فقال له: جعلت فداك أني لكثير المال وليس يولد لي ولد، فهل من حيلة؟ قال نعم استغفر ربك سنة في آخر الليل مائة مرة. وسأل رجل

(1) نوح/ 1-6.
(2) أنظر: الطريحي، مجمع البحرين: ج 4 - ص 9
(3) هود: 3
(4) التحريم / 8
(5) هود: 61
(6)هود:4-7
(7) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية:ص78
(8) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع: ج3 ص644، وذكر ذلك تفسير القرطبي: ج 18 ص 302
(9) الزمخشري، الكشاف: ج 4 ص 617
(10) الأردبيلي، زبدة البيان: ص 577، الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج7 ص128، المجلسي، بحار الانوار: ج84 ص221

الباقر (عليه السلام) فقال: جعلت فداك، إني رجل كثير المال وليس يولد لي ولد، فهل من حيلة؟ قال: نعم، استغفر ربك سنة في آخر الليل مائة مرة، فإن ضيعت ذلك بالليل فأقضِهِ بالنهار، فإن الله تعالى يقول: **(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...)** إلى آخره"[1]. وقد جاءت روايات اخرى في هذا المعنى نذكر منها ما ذكره صاحب أحاديث الشيعة وها هي:

1- "المكارم عن الحسن بن علي عليهم السلام أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه وقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في اليوم سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مِمَّ قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى (على معاوية) فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول الله عز اسمه في قصة هود عليه السلام **(وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ)** وفى قصة نوح عليه السلام **(وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)**.

2- كا 9 ج 6 - عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد عن محمد ابن شعيب عن النضر بن شعيب عن سعيد بن يسار قال: قال رجل لأبى عبد الله عليه السلام لا يولد لي فقال استغفر ربك في السحر مائة مرة فإن نسيته فأقضه.

3- كا 8 ج 6 - الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد السيّاري عن عبد الرحمن ابن أبي نجران عن سليمان بن جعفر عن شيخ مدني عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه وفد إلى هشام ابن عبد الملك فأبطأ عليه الأذن حتى اغتم وكان له حاجب كثير الدنيا ولا يولد له فدنا منه أبو جعفر عليه السلام فقال له هل لك أن توصلني إلى هشام وأعلمك دعاء يولد لك قال نعم فأوصله إلى هشام وقضى له جميع حوائجه قال فلما فرغ قال له الحاجب: جعلت فداك الدعاء الذي قلت لي. قال له: نعم قل في كل يوم إذا أصبحت وأمسيت (سبحان الله سبعين مرة وتستغفر عشر مرات وتسبح تسع مرات و تختم العاشرة بالاستغفار (ثم) تقول قول الله عز وجل (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) فقال الحاجب فرزق ذرية كثيرة وكان بعد ذلك يصل أبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام فقال سليمان فقلتها وقد تزوجت ابنة عم لي فأبطأ على الولد منها وعلمتها أهلي فرزقت ولدا وزعمت المرأة أنها متى تشاء أن تحمل حملت إذا قالتها وعلمتها غير واحد من الهاشميين ممن لم يكن يولد لهم فولد لهم ولد كثير والحمد لله.

4- طب الأئمة 129 - أحمد بن عمران بن أبي ليلى قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبي نجران عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي جعفر الأول محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ان رجلا شكى إليه قلة الولد وانه يطلب الولد من الإماء والحرايز فلا يرزق له وهو ابن ستين سنة فقال عليه السلام قل ثلاثة أيام في دبر صلاتك المكتوبة صلاة العشاء الآخرة وفى دبر صلاة الفجر سبحان الله سبعين مرة واستغفر الله سبعين مرة وتختمه بقول الله عز وجل (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ثم واقع امرأتك الليلة الثالثة فإنك ترزق بإذن الله ذكرا سويا قال ففعلت ذلك و لم يحول الحول حتى رزقت قرة العين[2].

واما العنصر الآخر وهو الاول في المشروع الالهي الدعوي فهو الايمان بالله جل ثناؤه واحترام القدرة الالهية من خلال توحيد صاحبها وتعظيمه، ومن خلال دعوتهم وتنبيههم الى النظر في أنفسهم وكيف اختل فيها عدم مراعاة ما يحقق لهم الكرامة والعزة، ومن خلال النظر في العالَم وما فيه من العجائب والبدائع الدالة على الصانع القادر العالِم وغفلتهم عنه. فقد ابتدأ نوح عليه السلام في تغطية هذا العنصر من عنصري المشروع بطريقة اخرى غير ما ابتدأ به اولا إذ هنا طرحه بطريقة عقلية استدلالية وفطرية لا يخالفها الا معاند متعنّت **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)** أي تأملون له توقيرا وتعظيما. والمعنى: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم.[3]

(1) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ج21 ص297

(2) نفس المصدر السابق: ج 21 - ص 297 – 299

(3) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع: ج 3 - ص 644 رواه الكليني في الكافي: ج 6 ص 8 ح 4 بإسناده عن بعض أصحابه (عليه السلام) بألفاظ متقاربة

وفي مجمع البيان: **(مَا لَكُمْ)** معاشر الكفار **(لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)** أي لا تخافون لله عظمة. فالوقار: العظمة اسم من التوقير، وهو التعظيم. والرجاء: الخوف هنا، والمعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحِّدوه وتطيعوه **(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)** الذي يكشف عن حالهم كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي أنه خلقكم تارات: ترابا، ثم نطفا، ثم علقا، إلى أن أنشأكم خلقا آخر، وهذه موجبة للإيمان به.

وعن ابن عباس: ما لكم لا تخافون لله عظمة ؟ وعنه: لا تخافون الله عاقبة، لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب، من: وقر إذا ثبت واستقر، وقيل: لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا[1]، **(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)** وهو في السماء الدنيا لأن بين السماوات ملابسة من حيث إنها طباق، واحدة فوق الأخرى كالقباب، فجاز أن يقال: فيهن كذا، كما يقال: في المدينة كذا، وهو في بعض نواحيها **(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)** يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس. **(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ)** استعار الإنبات للإنشاء كما يقال: زرعك الله للخير، والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا، أو: نصب **(أَنْبَتَكُم)** لتضمنه معنى "نبتم". **(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا)** أمواتا مقبورين **(وَيُخْرِجُكُمْ)** منها عند البعث، وأكده بالمصدر كأنه قال: يخرجكم لا محالة. **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا)** مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، والفجاج: الطرق الواسعة المنفجة.[2]

اقول: اعلم ان من عنده مشروع في الحل والإنقاذ عنده مشروع في الاضلال والاهلاك والإغراق والعذاب لكن لا من باب الابتداء الذي لا يصح نسبة ذلك اليه تعالى، بل من باب المجازاة إذا ما اختار الانسان ذلك واشتراه بدلا من اشتراء الهدى والايمان واختار الخسارة على الربح والإصرار على الكفر والفجور والضلال والظلم بدلا من التوبة والاستغفار.

الشق الثاني– الاستغفار والتوبة:

الاستغفار مشروع عمل اختلفت مفرداته وتكاثرت حتى بلغ الكلام فيها في كتاب الله المجيد المائتي آية، واما التوبة فبلغ الحديث في مفرداتها واشتقاقاتها السبع والثمانين آية ماعدا مرادفاتها، خلاصتها افتتاح صفحة جديدة من الحياة تختلف في شكلها وجوهرها عن الصفحات التي سبقتها، وهو مشروع الانبياء في اصلاح اممهم وقد ارسوا صرحه بأيديهم وألسنتهم وعقولهم وأنفسهم وقلوبهم.

فهذا نوح (ع) كما يحكي الله تعالى مقولته لقومه التي ألهمه الله إيّاها أو بعثه وأرسله بها: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا)** ومن بعده هود وهو يخاطب قومه بـ**(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)**[3]، ومن بعده صالح وهو يخاطب قومه: **(فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)**[4] و**(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**[5].

ومن بعدهم شعيب يخاطبهم بـ: **(وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)**[6]، الى ان وصلت النوبة الى خاتمتها على يد نبينا محمد (ص) وهو يتساءل ويتمنّى لأهل الكتاب بقوله كما يحكيه القرآن عنه: **(أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[7] ويتساءل ويتمنى لقومه (ص) ويخشى عليهم أن تأتيهم سنة الأولين أو يأيتهم العذاب قبلا بقول الله تعالى: **(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا)**[8]، بل وأمرهم بالاستغفار بعد

(1) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع: ج3 ص645، راجع: ابن حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط: ج8 ص333
(2) نفس المصدر: ج 3ص645
(3) هود: 52
(4)هود: 61
(5) النمل 45-46
(6)هود /90
(7)المائدة / 74
(8) الكهف 55

الاستقامة، قال تعالى حاكيا عنه هذين الأمرين: **(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)**[1] واخيرا خُصَّ (ص) هو وأُمته بالتسبيح بما يزيد على الأنبياء وأممهم في الاستغفار والتوبة على ما جاء في الرواية عند قوله تعالى **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)**[2]: **(وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)** وقال النبي صلى الله عليه وآله: "هذه هدية لي ولأمتي خاصة من الرجال والنساء ولم يعطها أحدا من الأنبياء الذين كانوا قبلي ولا غيرهم"[3] أي خصه وخص امته بالتسبيح بما زاد على ما أمره بالاستغفار في سورة المزمل حيث: قال تعالى: **(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[4].

أقول: ان رسالة نبينا (ص) كانت محفوفة بالاستغفار وزيادة بدءا وانتهاء ففي سورة المزمل التي هي من أوائل السور القرآنية النازلة كان قوله تعالى: **(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[5] وفي سورة النصر التي هي آخر ما نزل من الكتاب المجيد على حد قول أحد الاقوال الاربعة في آخر ما نزل من القرآن الكريم كان قوله تعالى: **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)**[6] الذي تضمن تلك الزيادة والخصوصية على سائر الأنبياء(عليهم السلام) واممهم. وما ذلك الا اشارة الى ان رسالة الدين لا يمكن ان تحيى بغير عامل الاستغفار والتوبة بل وعامل الذكر والتسبيح فتدبر.

موارد الحاجة الى الاستغفار:

تقدم ان الاستغفار يمثل الركن الثاني بعد التوحيد في مشروع الرسالات الدينية في اصلاح خط السير البشري**(إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)**[7] أي من الله **(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)**[8] أي أمركم بالتوحيد والاستغفار[9] وهو امر ضروري ومهم يدعو اليه العقل وتستدعيه الحاجة دائما، والاستغفار وان ارتبط بكثير من الروايات بفعل المعصية باعتباره غسيلا لها وتطهيرا من دنسها الا ان ظاهر الآيات والادعية المأثورة وروايات اخرى لا يعتبر فيه ارتكاب الذنب كما يقول السيد الخوئي بل يصح الاستغفار في كل مورد فيه حزازة ومرجوحية وإن لم تبلغ مرتبة الذنب والمعصية ولو بالإضافة إلى صدور ذلك من الأنبياء والأئمة فإنهم ربما يرون الاشتغال بالمباحات والأمور الدنيوية منقصة ويعدونه خطيئة.

وقد ورد الاستغفار في كثير من الآيات الكريمة في موارد لا يمكن فيها ارتكاب المعصية كقوله تعالى: مخاطبا لنبيه (صلى الله عليه وآله) **(فسبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ)** وقوله تعالى: **(وظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)** وقول نوح (ع) **(رَبِّ اغْفِرْ لِي...)** وكذلك قول سليمان (ع) **(وَقَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً...)**.

وبالجملة: المستفاد من الاستغفار الوارد في الكتاب العزيز والروايات الشريفة والأدعية المأثورة عدم لزوم ارتكاب الذنب في مورد الاستغفار، بل قد يتعلق بالذنب وقد يتعلق بغيره مما فيه حزازة ومرجوحية، (بل قد ورد الأمر بالاستغفار في مورد النسيان الذي لا يكون ذنبا كصحيح زرارة باب 4 – بقية كفارات الاحرام – ح 1)[10].

أقول: قد تقدم ان النظرية الدينية قسمت الأدوار المناطة بالاستغفار وقد مر بيان ذلك في الرواية المروية عن الإمام علي (ع) بصدد من استغفر بحضرته فقد وزعت هذه الرواية الأدوار فقد يتعلق الاستغفار بما هو حرام كترك الفرائض وغصب اموال الناس ومصادرة حقوقهم وقد يتعلق بما هو كمال للإنسان فيما لو أراد ان يجدد خلايا جسده كعملية تطهيرية من متعلقات الماضي الذي تاب عنه ومعلوم ان اذابة البدن حتى يلصق الجلد بالعظم ليس واجبا تكليفيا بل الواجب هو التوبة والانابة الى الله تعالى.

---

(1) فصلت/6
(2) النصر /3
(3) الصدوق، ثواب الأعمال 76
(4) المزمل/30
(5) المزمل/30
(6) النصر/3
(7) هود:2
(8) هود:3
(9) النسفي، تفسير النسفي: ج 2 - ص 145 -146
(10) الخوئي، كتاب الحج: ج 4 - شرح ص 105 - 113.

وما دعا اليه الانبياء والرسل وأوصياؤهم هو الاستغفار مطلقا لتحريك ساحة العمل التغييري في كل اصعدتها ما دام المرصود فيها هو الإصلاح وهو مقولة تستوعب كل مراتب حياة الإنسان وكافة اصعدتها. ومن هنا فالأمة إذا يممت وجهها صوب الاستغفار بهذا المعنى المطلق تكون امة قد تعلقت بعروته التي لا يمس صاحبها نَصَب ولا لُغوب، قال تعالى: **(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)**[1].

المبحث الخامس

الفصل الاخير في مسيرة الالف عام الا خمسين سنة:

لم تنته مسيرة نوح مع قومه طيلة هذه الفترة الطويلة من الدعوة والحوار المتواصل الى نتيجة تنسجم مع نذيره وبلاغه ونصحه، أي انه (ع) وصل معهم الى طريق مسدودة وذلك لما اختطوه لمصيرهم من آليات لا تقبل التفاوض ولا تقبل الايمان بالله ولا تعترف بالنعم والاحسان فكم من النعم والمنن التي ذكرت تنبيها لهم على استحقاق الله للعبادة المنزهة عن الشرك، ودلالة لهم على أنه (ع) عالم بمصالحهم، ومدبر لأمورهم على ما تقتضيه الحكمة، والتي يجب الا تقابل هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود فاختاروا خيارا لا خيار بعده بأن اتبعوا **(من لم يزده ماله وولده الا خسارا)**، أي واتبعوا أغنياء قومهم اغترارا بما آتاهم الله من المال والولد، فقالوا: لو كان هذا رسولا لله، لكان له ثروة وغنى.

واتبعوا طريقة المكر، والماكرون هم الرؤساء، ومكرهم: كيدهم بنوح (عليه السلام)، وصدّ الناس عن الاستماع منه وإليه، وقولهم للناس: **(لا تَذَرُنّ ءالِهَتَكُم) (وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً.... وَنَسْرا)** وكانت هذه الأصنام المذكورة أسماؤها قد انتقلت إلى العرب: فكان ود لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير، ولذلك اسمت العرب بعض ابناءها بـ " عبد ود " و " عبد يغوث ". **(وَقَدْ أَضَلُّوا)** الضمير للرؤساء، ومعناه: وقد أضلوا **(كثيرا)** قبل هؤلاء، أو: قد أضلوا بإضلالهم قوما كثيرا.

الى هنا لم يبق عندهم من وسيلة معصية ومخالفة الا وظَّفوها في الوقوف امام دعوة نوح ومشروعه الإنقاذي وما كان من نوح وهو يقف امامهم وهم على هذه الحال التي لا علاج لها إلا ان قال: **(رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي)** وقال: **(وَلَا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلاّ ضَلَالًا)** أي رب اخذلهم وامنعهم من الطافك لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم او اهلكهم كقوله: **(وَلَا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلاّ تَبَارا)**.والظلم والضلال والمعصية والتحريض المعادي كله خطايا مترجمة في قوله تعالى: **(مِمّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا)** والتي كانت سببا في إغراقهم وإدخالهم النار اذ قال عز وجل: **(فَأُدْخِلُوا نَارا)** عذابا يتلو عذاب. وتنكير النار: إما لتعظيمها، وإما لأن الله سبحانه أعد لهم نوعا من النار بعد ذلك ليعاقبوا فيها **(فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً)** أي: لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله. وإنما أتى سبحانه بألفاظ المضي على معنى الاستقبال لصدق الوعد به. وقال الضحاك: أغرقوا فأدخلوا نارا في الدنيا في حالة واحدة، كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في النار من جانب **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)**[2] أي نازل دار. يعني: لا تدع منهم أحدا إلا أهلكته. قال قتادة: ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن أنزل عليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلذلك قال: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ)** أي إن تتركهم ولم تهلكهم، يضلوا عبادك عن الدين بالإغواء والدعاء إلى خلافه **(وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)** وإلا فلم يعلم نوح الغيب، وإنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله إياه.

والمعنى: ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافرا، لأنه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر، وقال مقاتل والربيع وعطاء: إنما قال ذلك نوح عليه السلام لأن الله تعالى أخرج من أصلابهم كل من يكون مؤمنا، وأعقم أرحام نسائهم، وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وأخبر الله تعالى نوحا بأنهم لا يؤمنون، ولا يلدون مؤمنا، فحينئذ دعا عليهم، فأجاب الله دعاءه، فأهلكهم كلهم، ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب. ثم دعا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ)** وهما أبواه وكانا مؤمنين. وقيل: يريد آدم وحواء **(وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)** أي دخل داري. وقيل: مسجدي، عن الضحاك. وقيل: سفينتي. وقيل: يريد بيت محمد صلى الله

(1) النسفي، تفسير النسفي:ج 2 - ص 145 – 146
(2) نوح / 1- 28

عليه وآله وسلم. **(وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)** عامة. وقيل: من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلبي. **(وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)** أي هلاكا ودمارا.

قال أهل التحقيق: دعا نوح (ع) دعوتين. دعوة على الكافرين، ودعوة للمؤمنين، فاستجاب الله دعوته على الكافرين، فأهلك من كان منهم على وجه الأرض، ونرجو أن يستجيب أيضا دعوته للمؤمنين، فيغفر لهم.[1] .

النوافذ المنجية في رسالة نوح وبدائلها:

إن الله سبحانه وتعالى أراد في سورة نوح أن يُرَدَّ قوم نوح الى نوح (ع) لعلمه بأن نوحا على صفة من العلم والعصمة تنجيهم من الضلال الذي هم عليه، واراد لهم ان يكونوا مع نوح في كل أحواله لأن أحواله (ع) لم تنفك عن الهداية ابدا ولم تلتقي بالضلال ابدا. واراد للناس أن يستلهموا من سورة نوح وسيرته ان المنجي من عذاب الله ومن الفقر والقحط ومن الابتلاءات المعضلة هو الرجوع الى الله واستغفاره ودعائه وطاعته فإذا كانت هذه تجربة نوح على هذا المستوى المتقدم من الهداية والنجاة والتقوى فهل يعقل انها تضيع من ارشيف هداية الانسان ومن حفظ الله اللطيف بعباده دوما ؟أو هل يعقل أن يضيع الله هداه الذي أمر بالاقتداء به؟ الجواب: لا يعقل ما ذكر في السؤال أبدا.

ولكن هل يتكرر هذا الاسلوب من النجاة بعينه كلما تاه البشر وضلوا عن طريق الهداية؟ الجواب: نعم يتكرر بمعناه وروحه لا بمواصفاته الخارجية؛ ولهذا كان للناس في زمن موسى باب حطة، وفي الرواية عن ابي عبدالله (ع) "قال: إن يوسف ابن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلا فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه السلام، غلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى [2].

وفي زمن ذي النون لا اله الا انت سبحانك إني كنت من الظالمين، وفي زمن محمد (ص) الكتاب وعترته لقوله (ص) "إني مخلِّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[3] وقال في مقامات: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها وقع في النار"[4] وفي رواية "هلك" وفي رواية "غرق" وقال في مواضع أخر: "مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة من دخله كان آمناً")[5] أو لقوله تعالى: **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)**[6] وفي رواية تفسير المنار: "احبوا عليا فان حبه ينجيكم من النار"[7] وهكذا يتكرر البديل في النجاة مع كل الأقوام التي تحتاج الى الحفظ في مسيرة الحياة غير أن هناك من بين هذه البدائل ما كان مؤقتا وخاصا ومنها ما كان دائما وعاما. ووراء كل هذه البدائل الله عز وجل فهو القائل: **(قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ)**[8] ودعائه عز وجل لقوله (ص): "ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من عدوكم ويدر رزقكم ؟ قالوا: بلى. قال: تدعون بالليل والنهار، وإن سلاح المؤمن الدعاء"[9].

والصدق للرواية المروية عن رسول الله(ص): "بينا ثلاثة نفر فيمن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء والله ما ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم الله عز وجل أنه قد صدق فيه، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي عملا على فرق من أرز فذهب وتركه فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت من

(1) الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ج 10 - ص 139
(2) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ص 147
(3) المفيد، الإفصاح: ص223، المازندراني، مولى محمد صالح، شرح اصول الكافي: ج6 ص422
(4) الحلبي، أبو الصلاح، الكافي: ص97
(5) نفس المصدر: ص97
(6) النساء: 83
(7) المجلسي، محمد باقر، البحار: ج42 ص45
(8) الأنعام: 63-64
(9) الحلي، الرسالة السعدية: ص128

ذلك الفرق بقرا، ثم أتاني فطلب أجره فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال: إنما لي عندك فرق من أرز فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها فإنها من ذلك، فساقها. فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت الصخرة عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ذات ليلة فأتيتهما وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغطون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما من رقدتهما وكرهت أن أرجع فيستيقظا لشربهما، فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها، فأبت عليَّ إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فجئت بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت عنها وتركت لها المائة، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عز وجل عنهم فخرجوا"[1].

وفي كتاب الدعاء للطبراني: "اللهم إنه كانت لي بنت عم حسناء جملاء فأردتها على نفسها فامتنعت علي، ثم إنه أصابنا سنة فعرضت عليها أن أعطيها مائة دينار وتمكنني من نفسها ففعلت ذلك فلما كنت بين رجليها أخذتها رعدة فقلت: ما شأنك؟ قالت: إني أخاف الله عز وجل فتركتها وتركت لها المائة اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء رضوانك واتقاء سخطك فافرج عنا، فانفرجت الصخرة حتى رأوا منها الضوء."[2].

هذا وقوم نوح رغم هذه النوافذ المنجية التي استعرضتها سورة نوح (ع) والتي هي المنهاج العملي والنظري لنجاة الانسان لم يجرئوا أن يفتحوها ليخرجوا منها الى آفاق النجاة، كل ذلك لأن طغاتهم اختطوا لهم منهجا آخر غير هذا المنهج النبوي وهو اتباع من لم يزده ماله وولده إلا خسارا. واتباع مكر الماكرين ومكروا مكرا كبارا. وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا. واتباع مناهج الضالين وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا والإصرار على خطيئاتهم وعدم الاستغفار منها. مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا. وهي مناهج خطيرة بلا شك ولكن تسلسلها في الآي القرآني قد يشير الى الأخطر فالأخطر منها وها هي: معصية الرسول فاتباع الذي لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم اتباع الماكرين (الجهات الإعلامية) ثم اتباع الطغاة وأهل الضلال.

أقول: ان اخطر المناهج بعد معصية الرسول والوقوف امامه بالضد هو منهج اتباع اصحاب الاموال وأصحاب القوة البشرية من الاتباع والاولياء والانصار وهو منهج لا زال قائما بخطورته الى هذا اليوم ولا زالت معاناة الساحات الايمانية منه ملحوظة.

ولم تكتف الساحة الايمانية امام هذه المناهج بتشخيصها كما يفعل الكثير من المهتمين بها اليوم بل قدمت ما بوسعها من البدائل القويمة في صدها ولكن ليس بالضرورة ان تنصر هذه البدائل بلحاظها كقوة خارجية بل إن النصر حليفها بلحاظ ما وراءها من اخلاص وجهد متواصل وتحمل شاق في طريق ذات الشوكة. كما ان هذه التجربة تعطينا درسا في العمل التغييري داخل الساحات المنحرفة بكل انواع الانحراف في أن المؤمنين يجب أن لا يحسبوا ان النصر واقفا وراء الابواب بل لا بد من العمل لأجله قرونا وقرونا بلا ملل ولا كلل؛ لأنه حتميٌّ ولأنه سنة من سنن الله للمؤمنين والمتقين، وان الحياة لا قيمة لها بدون الايمان، ولهذا عم الهلاك بالغرق غير اصحابه الذين أبوا ان يركبوا في سفينة الاستغفار، فلم ترسُ لهذا الغير سفينة على شاطئ سلام ولا شاطئ نجاة. وهي سنة ثابتة لا يأتيها نسخ ولا تغيير ولا تبديل تنتظر كل السالكين على هذا الدرب إن عاجلا أو آجلا.

(1) الصدوق: الخصال: ص185
(2) الطبراني، كتاب الدعاء: ص80

الخاتمة والنتائج:

وبعد هذه الرحلة الشيقة والمضنية في بستان المعرفة يخرج الباحث ببعض النتائج الهامة من وجهة نظره، لعلها تحظى برضا الله اولا ورضا المطلع الكريم ثانيا، وهي كالاتي:

1- إن الأُمّة حينما تنحرف وتعيش حالة الابتعاد عن الله تكون قد وقفت على شفا حفرة من النار وتكون قد اوشكت على النهاية، ويكون مصيرها مهددا بالفناء والزوال.

2- ان الانذار يشكل النقطة الاساسية الاولى في النظرية الدينية وفي وظيفة الرسل(صلوات الله عليهم) فيما يشكل التبشير بالجزاء الاوفى النقطة الثانية.

3- ان دعوة الانذار والتبشير التي جاءت في رسالة نوح استدعت منه(ع) التفرغ وعدم الانشغال بغير الدعوة الى الله ويشهد على ذلك قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)).

4- ان من ضروريات الدعوة الى الله ان يكون الانذار بلغة بيِّنة لا يخالطها لبس ولا غموض، وهو امر مهم في الاعلام الناجح الذي يشترط فيه ان يكون واضحا ومفهوما لغة وشخصا وهدفا لدى جميع المخاطبين.

ولهذا كان ما يميز دعوة نوح لقومه ان دعاهم فردا فردا وبيتا بيتا.

5- ان من مميزات رسالة نوح (ع):

أ-:الحوارات المطولة.

ب- الحوارات الاستدلالية.

ج-التدرج في التبليغ.

6- ان من اساليب الخصم المعاند لرسالة نوح(ع):

أ- الفرار من سماع صوت الرسالة، بان يستغشوا ثيابهم، او يجعلوا اصابعهم في اذانهم.

ب- شراء الذمم بالأموال الكبيرة.

ت- التكذيب واتهام النبي بالضلال والتضليل.

7- ان من ابرز خصائص خصوم الرسالة هو الجهل وسعة رقعته ودليل ذلك قوله تعالى: (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ). لأنه من المعلوم ان السلاطين ومن حولهم لا يرون قيمة حضارية لآلهة رعيتهم وهم يعتقدون دائما بألوهية انفسهم إن كانوا هم السلاطين وألوهية أولياء نعمتهم إن كانوا ملئهم وما هذه النواهي التي توجه للرعية من قبلهم في الحفاظ بآلهتها والتزام عبادتهم الا من اجل ابقائهم على مستوى الجهل الذي يصب في صالحهم إذ صالح الحاكم الطاغية والمقربين لديه يرتكز دائما على تجهيل الرعية والمواطنين الاصليين لا على تنويرهم.

8- ان المشروع الديني مركب من عنصرين مهمين هما: الايمان والاستغفار وهما متلازمان ولا ينفع احدهما من دون الاخر.

9- ان من موارد الاستغفار هو مورد النسيان لكفارات الاحرام، او نسيان الفرائض او غصب اموال الناس ومصادرة حقوقهم. ولا ينبغي التأجيل للاستغفار من هذه الامور وامثالها.

10- ان قوم نوح لما طال إصرارهم على الكفر والتكذيب بعد تكرير دعوتهم، حبس الله عنهم القطر فقحطوا حتى هلكت أموالهم وأولادهم، فلذلك وعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه

11- ان من نوافذ النجاة في رسالة نوح(ع) من عذاب الله تعالى ومن الفقر والقحط هو الرجوع الى الله واسغفاره عاجلا لا آجلا، ودعائه وطاعته.

12- ان اخطر المناهج بعد معصية الرسول والوقوف امامه بالضد هو منهج اتباع اصحاب الاموال وأصحاب القوة البشرية من الاتباع والاولياء والانصار وهو منهج لا زال قائما بخطورته الى هذا اليوم ولا زالت معاناة الساحات الايمانية منه ملحوظة.

وتجدر الاشارة الى انني لا ادعي الكمال لما كتبت وادرجت وتبنيّت في هذه الوريقات وانما هي قناعات والهامات وفيوضات ادعو الله تعالى ان تكون ربانية وبعيدة عن وساوس الشيطان.

والله من وراء القصد

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

1- **أبو حيان الأندلسي** (ت: 745ه) تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د. زكريا عبد المجيد النوقي 2) د. أحمد النجولي الجمل، الطبعة الأولى، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

2- **الأردبيلي**(993ه) زبدة البيان، تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.

3- **الأنصاري**(ت 1281 ه) رسائل فقهية، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، 1414ه، الطبعة الاولى، مطبعة باقري، قم.

4- **البروجردي** 1383، جامع أحاديث الشيعة، تاريخ الطبع: رمضان المبارك 1409، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي. دار إحياء التراث العربي الشيعية، 1412ه، مطبعة المهر – قم، المؤلف، ألف تحت إشراف آية الله العظمى حاج حسين الطباطبائي البروجردي، المؤلف: الشيخ إسماعيل المعزي الملايري.

5- **الجوهري**، أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح، علوم اللغة العربية، الطبعة الرابعة، 1407ه، دار العلم للملايين، بيروت.

6- **الرازي** (ت606ه) تفسير الرازي، الطبعة الثالثة، المكتبة الشاملة لمكتبة اهل البيت (عليهم السلام) المكتبة الكومبيوترية.

7- **الحلبي**، أبو الصلاح (ت447ه) الكافي، تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، اصفهان.

8- **الحلي** (ت726ه) الرسالة السعدية، إشراف: السيد محمود المرعشي، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، الطبعة الأولى المحققة، 1410ه، بهمن، قم، كتابخانه عمومى حضرت آية الله العظمى مرعشي نجفي – قم.

9- **الحلي** (ت 726ه) كتاب الألفين، 1985م، مكتبة الألفين، الكويت.

10- **الخرسان**، محمد مهدي السيد حسن، الفقه، الطبعة الثانية، 1368 ش.ق، مطبعة أمير، قم، منشورات الشريف الرضي، قم.

11- **الزبيدي** (ت 1205ه) تاج العروس، مطبعة علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1987م.

12- **زكريا**، أبو الحسين أحمد بن فارس(395ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1404ه، مكتبة الإعلام الإسلامي.

13- **سعيد أيوب**، معاصر، الانحرافات الكبرى، من مؤلفات المستبصرين، الطبعة الأولى، 1992م، دار الهادي، بيروت.

14- **الشيرازي**، أحمد أمين، البليغ (معاصر) في المعاني والبيان والبديع، |علوم اللغة العربية، الطبعة الأولى، 1422ه، مؤسسة النشر الإسلامي، انتشارات فروغ قرآن.

15- **الشيرازي**، ناصر مكارم (معاصر)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

16- **الصدوق**، محمد بن الحسين (ت 381ه) كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، 1405ه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

17- **الصدوق**، محمد بن الحسين، (ت 381ه)، ثواب الأعمال، تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة الثانية، 1368 ش.ق، مطبعة أمير، قم، منشورات الشريف الرضي، قم.

18- **الصدوق**، محمد بن الحسين (ت 381ه) الخصال، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، 1403ه، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

19- **الطبراني**(ت 360هـ) كتاب الدعاء تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، 1413هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
20- **الطبرسي (ت** 548هـ)، مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: محسن الأمين العاملي الطبعة الأولى، 1995م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
21- **الطبرسي** (ت 548هـ) جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1421هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
22- **الطريحي**، فخر الدين(ت 1085هـ) تفسير غريب القرآن، تحقيق وتعليق: محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، قم.
23- **طريفي**، محمد نبيل (ت 1093هـ)، خزانة الأدب، البغدادي إميل بديع اليعقوب، الطبعة الأولى، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.
24- **الطوسي**، التبيان (ت 460هـ) تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، 1409هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، مكتب الإعلام الإسلامي.
25- **العاملي**، جعفر مرتضى (معاصر) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، الطبعة الرابعة، 1995م، دار الهادي، بيروت.
26- **العسكري**، أبو هلال، الفروق اللغوية، علوم اللغة العربية، مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى، 1412هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
27- **قيصري رومي**، محمد داوود (معاصر)، شرح فصوص الحكم- فلسفة، منطق، عرفان، الطبعة الأولى، 1375 ش.ق، شركة انتشارات علمي وفرهنگي.
28- **المازندراني**، مولي محمد صالح (ت 1081هـ) شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى، 2000م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
29- **المحقق السبزواري** (ت 1090هـ) ذخيرة المعاد (ط.ق) ق 1، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبعة حجرية.
30- **المفيد** (ت 413 هـ) الإفصاح، تحقيق: مؤسسة البعثة، الطبعة الثانية، 1993م، دار المفيد، بيروت.
31- **النسفي** (ت537 هـ) تفسير النسفي، مكتبة آل البيت (عليهم السلام) الكومبيوترية.